

## أضواء البيان

@ 7 فلا . وقال القرطبي : ويستدل لهذا القول من السنة بما ثبت عن ابن عباس رضي ا

عنهما من وضع الجريد الأخضر على القبر ، وقوله صلى ا عليه وسلم فيه : ( لعله يحفف  
عنهما ما لم يبسا ) . أي بسبب تسبيحهما ، فإذا يبسا انقطع تسبيحهما . . .  
والصحيح من هذا كله الأول الذي قاله ابن عباس رضي ا عنهما ، وهو الذي يشهد له القرآن  
الكريم لعدة أمور : .

أولاً : لصريح قوله تعالى : { وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يَُسَّبِحُ بِحَمْدِهِ } وَلَا كِن  
لَّآ تَفْقَهُ هُونًا تَسْبِيحَهُمْ } . . .

ثانياً : أن الحامل لهم على القول بتسبيح الدلالة ، هو تحكيم الحس والعقل ، حينما لم  
يشاهدوا ذلك ولم تتصوره العقول ، ولكن ا تعالى نفى تحكيم العقل الحسي هنا ، وخطر على  
العقل بقوله تعالى : { وَلَا كِن لَّآ تَفْقَهُ هُونًا تَسْبِيحَهُمْ } . . .

ثالثاً : قوله تعالى في حق نبي ا داود عليه السلام : { وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ  
الْجِبَالَ يُسَبِّحُونَ وَالطَّيْرَ } وقوله تعالى : { إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ  
مَعَهُ يُسَبِّحُونَ بِالْعُشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ } ، فلو كان تسبيحها معه تسبيح دلالة كما  
يقولون ، لما كان لداود عليه السلام خصوصية على غيره . . .

رابعاً : أخبر ا تعالى أن لهذه العوالم كلها إدراكاً تاماً كإدراك الإنسان أو أشد منه  
، قال تعالى عن السماوات والأرض والجبال : { إِنَّا عَرَضْنَا الْأُمَمَانَ عَلَى  
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ  
مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنََّّهُ كَانِ ظَلُومًا جَهُولًا } ، فأثبت تعالى لهذه  
العوالم إدراكاً وإشفاقاً من تحمل الأمانة ، بينما سجل على الإنسان ظلماً وجهالة في

تحمله إياها ، ولم يكن هذا العرض مجرد تسخير ، ولا هذا الإباء مجرد سلبية ، بل عن إدراك  
تام ، كما في قوله تعالى : { ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ  
لَهَا وَلِلَّاسِ رُضِي أئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا نِهَا طَائِعِينَ } ،  
فهما طائفتان ، وهما يابين أن يحملن الأمانة إشفاقاً منها . . .

وفي أواخر هذه السورة الكريمة سورة الحشر ، قوله تعالى : { لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا  
الْقُرْآنَ عَلَىٰ جِبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ  
اللَّهِ } ومثله قوله تعالى : { ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ  
كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لِمَا يَتَفَجَّرُ

